8
قاطعوا نتانياهو كما قاطعت أوروبا هايدر

دعوة نتانياهو لزيارة مصر هى دعوة رسمية من الرئيس مبارك وربما قصد الرئيس أن يجرى معه مشاورات مباشرة حتى يعلم حدود استعداده لأى قدر من السلام وأن تكون هذه المشاورات جزءا من التحرك العربى العام قبل زيارات واشنطن والاتفاق على إطار للتحرك فى المرحلة المقبلة. ومن حق الرئيس أن يدعو من يشاء وأن ينطلق بآمال السلام إلى كل الآفاق، ولكن من حقنا أيضاً أن نعترض على هذه الزيارة التى لم يطلبها نتانياهو وذلك للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن إسرائيل هى اللاعب الوحيد فى الساحة الإقليمية وهى التى تفرض في النهاية برنامجها، ولذلك لاجدوى من التشاور، بعد أن أعلن نتانياهو صراحة ما يريد وهو هضم الحقوق العربية والحصول على المكافأة لهذا النجاح وهو دفع بقية العرب إلى التطبيع مع إسرائيل حتى يدخلوا جميعاً فى معسكر السلام، وإعلان إيران وليس إسرائيل عدو العالم كله حتى إذا ما هاجمت إسرائيل الأراضى الإيرانية تكون قد نابت عن كل العالم فى إزاحة هذا الخطر حسب قول بيريز فى واشنطن، حيث أكد أنه لوكان العالم حازماً مع النازية قبل المحرقة لما وقعت هذه المحرقة.

السبب الثانى: أن نتانياهو جزء من تركيبة تضمر العداء لمصر والمنطقة ويستهدف مشروعها مصر فى المقام الأول، وتتمنى لمصر كل الشرور وأيديهم

ملطخة بدماء أسرانا وهم فى عهدتهم، ولا تزال دماء ضحايا غزة تطلب الثأر لمن يقدر عليه، ولا أظن أن احتضان نتانياهو سوى رسالة جديدة مثلما حدث مع ليفنى لتشجيعهم على سفك الدماء العربية.

السبب الثالث: هو أن حكومة نتانياهو تضم ليبرمان الذى أهان الرئيس ومن ورائه كل ملايين المصريين، وقد وجه الإهانة للرئيس بصفته رئيس مصر فمن حق المصريين أن يحفظوا له هذه الإهانة، خاصة وأن المسئولين الإسرائيليين لم يتوقفو عن توجيه الإهانات لنا، ولكنها المرة الأولى أن يتجرأ سياسى في إسرائيل على رئيس مصر.

السبب الرابع: أن إسرائيل تطوق مصر من كل جانب وتسعى إلى خنقها فى السودان ودارفور وغيرها وأقسمت أن تعيق نجاح وزير الثقافة المصرى المرشح لمنصب مدير عام اليونسكو وتجاوبت معها الإدارة الأمريكية، ولاشك أن نجاح الوزير مصلحة مصرية وأن موقف إسرائيل ينطوى على جرأة وتحدى بشكل لم يحدث فى علاقات الدول «الصديقة»، ومع دولة تضطر حكومتها الشعب والقضاء على التضحية بكل شيء بما فى ذلك الغاز لصالحها دون أن نفهم المقابل المجزى الذى تحصل عليه مصر من إسرائيل مقابل كل هذه التضحيات، بل ويظهر وزراء مصر فى موقف لايحسدون عليه وهم يبررون محاولة الحكومة الزراية بالقضاء المصرى واحتقار الدستور المصرى وتعلن رسميا أن هذا السلوك من أعمال السيادة التى لا تمتد إليها رقابة القضاء.

السبب الخامس: هو أنه إذا كان لابد من علاقة رسمية لاعتبارات معينة فلتكن فى أضيق الحدود، وإذا كان هذا اللقاء من تصريف القضاء والقدر فإننا نرجو ياسيادة الرئيس أن يكون اللقاء حازماً رصينا خالياً من أى ود وأوصيكم بتجنب

القبلات خاصة بعد أن ظهر وباء انفلونزا الخنازير فى إسرائيل.

السبب السادس : نتانياهو هو نفسه وربما أسوأ من عام ١٩٩٦، صحيح أن نتانياهو هو صاحب عملية عناقيد الغضب ومذبحة قانا وهى سلسلة فى منظور المذابح الصهيونية ضد العرب فى لبنان وغيره، إلا أن ذلك العام شهد تطورا بالغ الأهمية عندما استشعرت مصر خطر نتانياهو وتلاعبه باتفاق أوسلو، فكانت قمة الإسكندرية فى يونيو من ذلك العام التى ضمت الرئيس الأسد والملك فهد رحمهما الله فى لفتة أعادت للأمة العربية الثقة فى أنها بعد كارثة الغزو العراقى للكويت وما تبعه من مآسى لم تنكسر، وأن مثلث النظام الإقليمى العربى المصرى السورى السعودى التأم بعد انفراطه لعقود.

إن أعمال إسرائيل الإجرامية ومشروعها الاستيطانى الإحلالي الاقتلاعى وتخريبها للصفوف الفلسطينية وإعلان حكومة نتانياهو الصريح عن خطة إهدار كافة الحقوق الفلسطينية كانت تحتاج إلى رسالة أخرى وهى إعلان عدم الاعتراف بهذه الحكومة المتطرفة والسعى إلى عزلها.

إننى أخشى أن تكون الزيارة رسالة إلى الجميع خاصة الإسرائيليين وأن تشجعهم على المزيد من سفك دماء العرب مادامت محرقة غزة التى لم تجف دماؤها لم تؤثر البتة على سلوك العرب إزاء إسرائيل.

أما دعوتى لمقاطعة حكومة نتانياهو فقد شاركنى فيها كتاب من مجلة لوموند دبلوماتيك عدد مايو ٢٠٠٩ احتجاجا على تصرف خطابه وإلغائه كل أفق سياسى وإقدامه على طرد عرب ١٩٤٨ وحديثه المتكرر عن دولة يهودية نقية، ودولة فلسطينية فى الوطن البديل.

وقد سبق لى أن طالبت قمة عمان العربية فى مارس ٢٠٠١ بمقاطعة حكومة

شارون التى تشكلت فى فبراير ٢٠٠١ وهى التى دبرت أحداث ١١ سبتمبر مع السلطات الأمنية الأمريكية -فيما أعتقد ويعتقد مئات مثلى- وأعلنت برنامج تكسير عظام الفلسطينيين ولكن الزعماء العرب فضلوا أن يعطوه فرصة، فكانت تلك الرسالة لكى يرتكب مجازر جنين عقب إهدائه مبادرة السلام العربية فى بيروت فى العام التالى.

ودعوتى إلى مقاطعة حكومة نتانياهو المتطرفة تجد لها سوابق فى سجل إسرائيل نفسه، فقد سبق لإسرائيل أن فرضت مقاطعة كاملة على كورت فالدهايم عند نجاحه فى الانتخابات الرئاسية في النمسا عقابا له على دعمه لحق منظمة التحرير فى مقعد دائم فى الأمم المتحدة عندما كان أميناعاما لها ولكن بحجة أن له دوراً غامضاً فى التفرج على مجازر اليهود فى يوغوسلافيا عندما كان مترجما فى الجيش الألمانى المحتل. وعندما نجح هايدر رئيس حزب الحرية فى النمسا بعد ذلك بأعوام وكان برنامجه اليمينى يقوم على اضطهاد الأقليات والتقارب مع صدام حسين ثم عزل حكومته تماما وفرض الاتحاد الأوروبى عليه مقاطعة شاملة رغم أن الانتخابات كانت ديمقراطية ،وكان ذلك هو خيار الشعب النمساوى حتى تم إرغام الناخب النمساوى على هجر الحزب والفرار إلى حزب تؤيده أوروبا. وبالنسبة لإسرائيل فهى التى كانت وراء التجربتين فى النمسا لمدة تجاوز عقدا ونصف، كما أن إسرائيل سحبت سفيرها يوم تنصيب فالد هايم وخفضت التمثيل إلى مستوى قائم بالأعمال ولم تجرؤ النمسا يومها على أن ترد بالمثل بل أبقت سفيرها فى إسرائيل فى سابقة تظهر قهر إسرائيل للدول الأوروبية ومن خلفها الولايات المتحدة التى قاطعت هى الأخرى النمسا وحكوماتها تماماً. وقد تساءل أوروبيون حول الفرق بين موقف أوربا من إسرائيل وموقف أوربا من النمسا، إذ فى البلدين حكومات متطرفة

بالمعيار نفسه ولكنهم لم يعترفوا بأن إسرائيل فوق كل الحسابات ، وأن سطوة إسرائيل واللوبى الصهيونى شوه حريتهم وديمقراطيتهم كلما تعلق الأمر باليهود وإسرائيل، وهو نفس الموقف الذى اتخذته أوربا ضد حماس رغم وصولها إلى السلطة بأسلوب ديمقراطى، ولكنها فى النهاية لاترضى عنها إسرائيل.

قاطعوا نتانياهو هذه المرة قبل فوات الأوان!.